

الفصل الأول

الکرد وتشكيل الدولة العراقية

وفيه ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة
العراقية**

**المبحث الثاني : نشأة الدولة العراقية وإلحاق جنوب
كردستان بها**

**المبحث الثالث : القضية الكردية في العراق ١٩٢١ -
١٩٦٨**

**المبحث الرابع : حزب البعث والمسألة الكردية ١٩٦٨ -
١٩٨٨**

المبحث الأول الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة العراقية

يعد الشعب الكردي رابع أكبر شعب من شعوب الشرق الأوسط من ناحية العدد بعد العرب والفرس والتürk ، وأحد الشعوب القليلة غير الممثلة في هيئة الأمم المتحدة ، واخرومة من وجود كيان سياسي مستقل لها ، رغم قيام الكرد بمحاولات عديدة من أجل تثبيت هذا الحق لهم في المعاهدات والمواثيق الدولية .

وهناك اختلاف كبير في تقدير عدد الكرد مرده المواقف المتشددة للحكومات التي تقسم بلادهم ، حيث أنها تقوم بإجراء إحصاءات سكانية غير دقيقة ، بل إنها تحاول عادة إخفاء العدد الصحيح وتمويهه وإعلان الأرقام غير الصحيحة مما دعا - من جانب آخر - البعض إلى ذكر أرقام تقديرية فيها شيء من المبالغة .

كانت كردستان في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي محكومة من قبل حكومة (الآق قويونلية) التركمانية التي كانت شيعية المذهب ، بخلاف الكرد الذين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة ، لذلك كان الكرد يمتعضون من هذه التبعية ، وكان الأمراء الكرد يفكرون بجمع قواتهم لغرض استعادة حكمهم على إماراتهم المتعددة الذي جردهم منه التركمان ، وبعدها بدأ الضعف يدب في أوصال الحكومة (الآق قويونلية) التركمانية وجد الأمراء الكرد فرصتهم في تحقيق هدفهم ، فتم لهم ذلك بعد أن استغلوا فرصة انشغال التركمان بأمر الشاه إسماعيل الصفوي ^(١) الذي ظهر في إيران سنة ٩٠٧ هـ .

(١) هو الشاه إسماعيل بن حيدر بن الشيخ جنيد ، وينتسب إلى الشيخ صفي الدين مؤسس الطريقة الصفوية الذي كان يدعي الانتساب إلى الإمام موسى الكاظم ، ولد سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) وترعرع أتباع والده وهو لا يزال شاباً يافعاً وانتصر على الآق قويونليين التركمان ودخل تبريز

وبعدما صفى الأمر للشاه الصفوي الذي أعلن اعتناقه لمذهب الشيعة فكر في الاستيلاء على كردستان وضمها إلى مملكته ، وخطا نحو ذلك خطوات عملية ، لكن الكرد لم يرضوا بذلك لدواعي مذهبية وقومية وإن كان أمراؤهم قد اتبعوا سياسة المداراة معه اتقاء لشره ، مما دعا أن يدعي الصفويون امتلاكهم لكردستان حتى ظهور السلطان العثماني سليم بن بايزيد ^(١) الذي يعد أول سلطان عثماني يقف في وجه التوسع الصفوي .

وجه السلطان سليم قواته شرقاً نحو كردستان بهدف دحر الصفويين واستطاع بسهولة كسب ود أمراء الكرد الذي امتنعوا من سياسة الصفويين الطائفية ، فعقدوا بجهود العالم الكردي إدريس البديسي ^(٢) اتفاقاً مع السلطان العثماني الذي تعهد

وتوج ملكاً لبلاد فارس ، تشيع وأجبر الناس على اعتناق مذهب الشيعة وقتل من رفض هذا الأمر ، وسع حدود دولته وتوجه نحو كردستان فاصطدم بالعثمانيين وانهزم أمامهم ، وبقي في الحكم حتى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) حيث خلفه طهماسب الأول (ينظر : تركة الشاه إسماعيل الصفوي للعالم الإسلامي ، للدكتور بكر صديق شريفاتي ، بحث منشور في العدد العاشر من مجلة فزّين الفصلية الصادرة في دهبوك في شتاء ١٩٩٨) .

(١) السلطان سليم هو ابن السلطان بايزيد الثاني ، حكم سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) بعد أن تنازل له والده ، وكان الجيش يدعمه ويرى فيه أمل الدولة ، وكان رغم قسوته يميل إلى صحبة رجال العلم ، وكان يحب الأدب وينظم الشعر بالفارسية ، توسعت الدولة في عهده توسعاً كبيراً ، وحارب الصفويين وانتصر عليهم في وقعة جالديران ، وضم دولة المماليك في مصر إلى سلطنته ، مات سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وهو في الرابعة والخمسين من عمره (ينظر : الدولة العثمانية للدكتور علي محمد الصلابي ، دار الفجر للنشر ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ٢١٧ - ٢٤٣) .

(٢) هو إدريس بن حسام الدين بن علي ، البديسي ، العالم ، الفاضل ، المعروف ببولانا إدريس البديسي وإدريس الحكيم ، أكمل دراسته ببلاد فارس ، ودخل في المناصب الحكومية لأول مرة ككاتب خاص للسلطان يعقوب بن حسن الطويل الآق قويونلي ، ثم تدرج في الترقى حتى تسنم كرسي الوزارة ، ولما ظهر الشاه إسماعيل الصفوي تولى منصب التوقيعي لديه ، ولما حدثت فتنة ابن أردبيل ارتحل إلى بلاد الروم ، فأكرمه السلطان بايزيد غاية الإكرام ، فلامزه ثم لازم

بعدم التدخل في شؤون الإمارات الكردية والحفاظ على استقلاليتها مقابل إعلان أولئك الأمراء ولاءهم للدولة العثمانية ، ومساعدتهم إياها من الناحية العسكرية ضد التهديدات الخارجية .. وبالفعل ساعد الأمراء الكرد السلطان العثماني في صراعه مع الصفويين وشاركوا معه في معركة (جالديران) الشهيرة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) التي أسفرت عن انتصار العثمانيين وفرار الشاه الصفوي تاركاً عاصمته في أيدي المهاجمين من الكرد والعثمانيين ^(١) .

وبعد وقعة جالديران دخل القسم الأعظم من كردستان تحت الحكم العثماني ، وبقي جزء من شرقي كردستان تحت الحكم الصفوي ، وأعلنت الإمارات الكردية (العثمانية) - التي بلغت خمساً وخمسين وحدة إدارية - ولاءها للدولة العثمانية ، التي التزمت باتفاقيتها مع الأمراء الكرد حيناً من الزمن ، ثم ما لبثت أن نقضت الاتفاقية وتدخلت في كثير من الأوقات في الشؤون الداخلية للإمارات الكردية ، ومع ذلك فقد اتسمت السياسة العثمانية حينئذ تجاه الكرد بالتسامح ، خلافاً لسياسة الصفويين التي قامت على أساس طائفي مذهبي .

وبعد أن استرد الصفويون قوتهم بعد هزيمة جالديران القاسية فكروا في الثأر من العثمانيين وأعوانهم الكرد ، وبدءوا بشن غارات على كردستان التي قدر لها أن تدفع القسط الأوفر من ضريبة صراع الطرفين ^(٢) .. ونتيجة لتنافس الطرفين في كسب ود الأمراء الكرد لتكون إماراتهم حاجزاً منيعاً في وجه العدو ، ثم بسبب تفرق الأمراء

ابنه السلطان سليم ورافقه في غزواته ، مات سنة ٩٢٦ (١٥٢٠ م) ، ومن آثاره : (هشت بهشت - الجنان الثمانية) في تاريخ ثمانية من سلاطين آل عثمان ، كتبه بالفارسية ، ورسالة الإباء عن مواقع الوباء ، في جواز الفرار من الطاعون ، رسالة في النفس ، الحق اليقين في الحق المبين ، في الكلام . (الشقائق النعمانية ، ص ١٩٠-١٩١ ، وشرفنامه للأمير شرفخان البديسي ترجمة محمد جميل الروزيباني ط ٢ ص ٢٨٦) .

(١) شرفخان البديسي : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١ / ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٢) محمد أمين زكي : تاريخ الكرد وكردستان ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٨٤-١٨٩ .

الکرد وسرعة تقلب بعضهم في ولائه كانت خريطة كردستان السياسية تتبدل من حين لآخر ، ولا تستقر على صورة واحدة لفترة طويلة .. وازداد الوضع تعقيداً بعد ذلك على أثر التدخل الروسي ، ثم البريطاني في المنطقة لتنفيذ سياساتها الاستعمارية .

وبدءاً من القرن التاسع عشر الميلادي قام الكرد بانتفاضات وثورات عديدة كان هدفها التحرر من تبعية الدول والإمبراطوريات الكبرى التي تتدخل في شؤون الكرد بشكل تعسفي ، لاسيما بعد أن قرر العثمانيون في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي القضاء على الإمارات الكردية التي كانت شبه مستقلة وضم كردستان تحت الحكم العثماني المركزي المباشر ، ضارين عرض الحائط الاتفاقية التي عقدها الأمراء الكرد قبل قرون من ذلك التاريخ مع السلطان العثماني .

وبعد أن خطت الدولة العثمانية خطوات سريعة نحو الأفيول في بدايات القرن العشرين الميلادي حاول بعض الساسيين والمثقفين الكرد الذين كانوا مجتمعين في العاصمة استنبول التوجه نحو دعاة الإصلاح من الأتراك ، هذا بالنسبة للمنضوين تحت الحكم العثماني ، وفي الجانب الآخر الإيراني تعاون القادة الكرد من الدستوريين الفرس آملين الحصول على حقوقهم القومية ، ولو في كيان أشبه ما يكون بالحكم المحلي ، لكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ، وتأكد لهم أن دعاة الحرية والإصلاح يحملون في رؤوسهم وقلوبهم أضعاف ما كان العثمانيون والصفويون يحملونه من الحقد والكراهية ، مع أن بعض كبار هؤلاء الدعاة كانوا كرداً في أصولهم .

وبعد إعلان الدستور العثماني نشط الزعماء السياسيون الكرد والطبقة الكردية المثقفة في سبيل الدعوة إلى إنشاء كردستان مستقلة ، وأصدروا صحفاً ومجلات ، وأنشؤوا جمعيات ومؤسسات سياسية داخل كردستان وخارجها ، لكن القوميون الترك واجهوا تحت الحركات بقوة ، وعملوا في الخافل الدولية لأجل إجهاض جهود الكرد في هذا المجال ، وجهودهم هذه تبدو جلية في نجاحهم في إلغاء معاهدة سيفر الدولية التي عقدت في (١٠ آب ١٩٢٠ م) ونصت على إقامة كيان كردي مستقل ، لكن الجهود التركية المعارضة لهذا الأمر والتي لقت هوى في نفوس الدول الاستعمارية

وتشجيعاً أسفرت عن وأد هذه المعاهدة واستبدالها بمعاهدة لوزان التي عقدت في (٢٣ تموز ١٩٢٣ م) والتي أهملت تماماً حق الكرد في إنشاء كيان مستقل لهم على أرضهم .

المبحث الثاني نشأة الدولة العراقية والحاق جنوب كردستان بها

ظهرت القضية الكردية جلية في العصر الحديث نتيجة لتقسيم كردستان من قبل الدول الاستعمارية وبموجب اتفاقية سايكس بيكو البريطانية الفرنسية المشؤومة سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م على عدة أقسام ألحق كل قسم منها بدولة لها آيدولوجيتها القومية وتتبع استراتيجية معينة ومعسكراً خاصاً ولا تعمل إلا في سبيل عنصرها وتحقيق آيدولوجياتها وإن اقتضى ذلك سحق من يقف في طريقها كالكرد مثلاً ..

ومع أن الشعب الكردي لم يرضَ بهذا التقسيم ولم يستسلم له ، بل قام بانتفاضات عديدة وثورات عارمة في جميع تلك الأجزاء المقسمة ، لكن الدول الاستعمارية التي تتحمل المسؤولية العظمى في تقسيم كردستان ومنع إقامة كيان كردي مستقل لعبت دوراً خبيثاً في إجهاض تلك الانتفاضات والثورات الكردية وذلك بمد يد العون لأعداء الكرد والسكوت طويلاً عما اقترفوه من ظلم وقتل وتشريد في حق الكرد .

والدولة العراقية التي ضمت جزءاً غير صغير من كردستان هي دولة حديثة النكوتين ، ولدت في أعقاب الحرب العالمية الأولى بموجب قرار بريطاني صدر في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ ونص على إنشاء دولة ملكية برئاسة الأمير فيصل بن الحسين ، وقد تم فعلياً نصبه ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ بعد استفتاء لم يرحب به أغلب الكرد المقرر ضمهم إلى الكيان العربي الوليد .

وبريطانيا التي عملت على تشكيل المملكة العراقية إنما خطت هذه الخطوة - المرفوضة من قبل الكرد أساساً كما سبق - بدافع مصالحها البحتة ، منها : تقليل

النفقات الباهضة لوجودها في المنطقة والتي أثقلت كاهل دافعي الضرائب البريطانيين ، وجعلت الحكومة البريطانية في موقف حرج أمام البرلمان ^(١) ، كما أرادت بريطانيا الحيلولة دون وقوع انتفاضات شعبية جديدة كالتى حدثت سنتي (١٩١٩ و ١٩٢٠) ، وكان ذلك لا يتم إلا عن طريق حكم هذه البلاد بشكل غير مباشر ^(٢) .

واجه الكيان الجديد منذ نشأته مشاكل عديدة أهمها أن الولايات الثلاث : (الموصل وبغداد والبصرة) التي شكلت الدولة العراقية منها ، لم تكون كياناً سياسياً واجتماعياً متماسكاً ^(٣) إذ تميز سكانها بخصائص قومية وطائفية مختلفة ، فهناك يوجد العرب وهم على قسمين : سنة وشيعة ، يعيشون منفصلين حتى في أحياء المدينة الواحدة ^(٤) ، كما يوجد الكرد الذين شكلوا غالبية السكان في ولاية الموصل ، وهم وإن كانوا مسلمين سنين إلا أنهم يختلفون عن العرب من الناحية القومية ، فضلاً عن أنهم كانوا ينشدون كياناً سياسياً مستقلاً لهم يضم بلادهم الشاسعة ، مما ساءت لهم فكرة الانضمام إلى الدولة العراقية ذات الأغلبية العربية ، بل نشط عدد كبير من زعماء الكرد للعمل من أجل إنشاء دولة كردية مستقلة ففي تموز من سنة ١٩٢٠ بعث (٦٢) زعيماً كردياً في المناطق الملحقة بالعراق الجديد رسالة إلى المندوب السامي البريطاني في العراق طالبوا فيها بإنشاء دولة كردية مستقلة تحت انتداب الحكومة البريطانية ^(٥) .

(١) م . س لازاريف : المسألة الكردية (١٩١٧ - ١٩٢٣) ، ترجمة د. عبدي حاجي ، بيروت ، دار الرازي ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٢١٨ .

(٢) العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، عبد الرحمن البزاز ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ١١٤ .

(٣) العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ - ١٩٢١ ، تأليف غسان العطية ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، طبعة لندن ١٩٨٨ ، ص ١١١ .

(٤) العراق ، الكتاب الأول ، الطبقات الاجتماعية ، لحن بطاطو ، ص ٢٦ .

(٥) كردستان في عهد السلام ، أحمد عثمان أبو بكر ، السليمانية ١٩٩٨ ، ص ١١٥-١١٦ .

وفي ولاية البصرة عارض الوجهاء الانضمام إلى الدولة العراقية وقاموا بإرسال عريضة إلى المندوب السامي البريطاني في حزيران ١٩٢١ طالبوا فيها بإنشاء إدارة سياسية مستقلة في البصرة^(١) .

عليه يمكن القول بأن الكيان العراقي كان كياناً مصطنعاً منذ أول قيامه ، وقد لخص أحد الكتاب القول في هذا الكيان تلخيصاً جيداً عندما قال : (لقد كان العراق من صنع تشرشل - وزير المستعمرات البريطانية يومئذ - الذي خطرت له فكرة جنوبية وهي الجمع بين حقلي نفط متباعدين .. وذلك بدمج ثلاث فئات من الناس وهم الكرد والسنة والشيعة)^(٢) .

وقد أدرك ملك العراق فيصل بن الحسين هذه الحقيقة بعد أن عجز عن مقاومة التجزئة والانقسام وذلك بعد جلوسه على العرش بعشر سنوات ، فقد كتب سنة ١٩٣١ في مذكرة جاء فيها : ((إن البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها أهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ذلك هو الوحدة الفكرية والمالية والدينية فهي والحالة هذه مبعثرة القوى منقسمة على بعضها ، يحتاج ساستها إلى أن يكونوا حكماء مدبرين .. وفي هذا الصدد وبالاختصار أقول وقلبي ملآن أسى أنه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد ، بل توجد كتلات بشرية خالية من أي فكرة وطنية .. لا تجمع بينهم جامعة .. هذا هو الشعب الذي أخذت مهمة تكوينه على عاتقي))^(٣) .

(١) ينظر : نص المذكرة في مذكرات سليمان فيضي : سليمان فيضي من رواد النهضة العربية ، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي ، ط ٤ ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٣٠٨-٣١٠ .

(٢) المفكرة الخفية لحرب الخليج ، بيارسا لنجرد وأريك لوران ، رؤية على العدد العكسي للأزمة ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) ينظر : نص المذكرة في كتاب (مشكلة الحكم في العراق) لعبد الكريم الأزري ، لندن ، ١٩٩١ ، ص ٢٦١-٣٦٧ .